مناقب



سيدنا الشيخ
محمد حسن بن حمزة ظافر المدني
رضي الله عنهم وأرضاهم

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم ❊ الحمد لله والشكر لله والفضل لله والمنّ لله ❊ أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله ومصطفاه ❊ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وذرياته أجمعين ❊ اللهم صل وسلم على سيدنا محمد بسيدنا محمد ﷺ وعلى والديه الكريمين وآباءه وأجداده وأعمامه وعماته وأخواله وخالاته وآل بيته وآله

وأصحابه وزوجاته وذرياته والممدودين به
أزلا وأبدا ﷺ ❊

في هذا الكتيب ننقل مناقب شيخ من
شيوخ الإسلام والإيمان والإحسان سيدنا
الشيخ محمد حسن حمزة ظافر المدني رضي
الله عنهم وأرضاهم ❊ بقلم ابنه وخليفته
ووارث سره سيدنا الشيخ محمد ظافر بن
محمد حسن حمزة ظافر المدني رضي الله
عنهم وأرضاهم ❊

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الطريقة مبدأ ظهورها في سنة أربعين ومائتين وألف * وكان أستاذها قطب الزمان وعمدة أهل العرفان القدوة الفاضل والمرشد الكامل والدنا الأستاذ محمد حسن بن حمزه ظافر المدني * خرج من المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام في نحو اثنين وعشرين ومائتين وألف * وساح سياحة طويلة حتى انتهت به إلى المغرب الأقصى في طلب

طريق الوصول إلى الله تعالى ❋ وأخذ عن مشايخ عديدة ❋ منهم العارف بالله والدال عليه ❋ ذو المعارف والأسرار الشيخ سيدي المختار الكنتي القادري ❋ وأخذ الطريقة الناصرية التي هي فرع من الشاذلية على أحد خلفائها ❋ وتلقى عنه علم الأسماء وأسرار الحروف ❋ ثم اجتمع بسيدي أحمد التيجاني ❋ وأخذ طريقة سيدي محمد بن عيسى ❋ وهي فرع الشاذلية أيضا ❋

ثم جمعه الله على أستاذه ❉ حامل لواء
الطريقة الشاذلية في زمانه ❉ العارف بالله
والدال عليه ❉ العالم العامل والأستاذ
الكامل سيدي مولاي العربي ابن أحمد
الدرقاوي الشريف الحسني ❉ وكان
اجتماعه به يوم الأحد الثالث والعشرين
من شهر صفر الخير سنة أربع وعشرين
ومائتين وألف ❉ وذلك بزاويته ببوبريح في
بني زروال مسافة يومين من فاس ❉ فأخذ
الطريقة عليه ❉ وحصل له الفتح على يديه

❊ وإن سئل عن شيخه فهو الذي ينتسب إليه ❊ فأقام في صحبته على قدم التجريد نحو تسع سنين ❊ بعضها في السياحة عن إذنه ❊ وأكثرها بين يديه ❊

ونال بصحبته الخير الكثير والمدد الغزير والفيض الكبير ❊ إلى أن قال له مرة بحال قوي : «رح إلى بلادك يا مدني ❊ ما بقيت لك حاجة عندي» ❊ ومرة أشار له بمقام النهاية في الكمال وقال له : «لقد بلغت ما

بلغه الكمل من الرجال» وأمره أن يتوجه إلى بلده طيبة دار الهجرة المطيبة ❊ وعند مودعته له بكي رضي الله عنه وقال له : «رح ❊ جعلتك وسيلة بيني وبين الله ❊ وواسطة بيني وبين رسول الله ﷺ» ❊

فقدم المدينة المنورة رضي الله عنه وأقام بها بين أهله وأقاربه ثلاث سنين على قدم التجريد ❊ وفي كل سنة يحضر الموسم بعرفات ويرجع إلى المدينة ملازما للحرم الشريف ❊ صارفا أوقاته في المواجهة ❊

مستغرقا في المشاهدة ❊ على زهد كامل وورع شامل ❊ واستقامة ويقين ورسوخ وتمكين ❊

قال رضي الله عنه : «وفي خلال تلك المدة اجتمعت بالشيخ الكامل العالم العامل العارف بالله سيدى أحمد بن إدريس ❊ فوجدته على قدم في اتباع السنة ❊ فأعجبني حاله ❊ فاخذت عنه تبركا» ❊

وفي مدة إقامته بالمدينة طلب منه الإجازة في الطريقة بعض المريدين فلم يجبهم تأدبا مع شيخه ❁ حتى سمع خطابا من الحجرة المطهرة من يقول : ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ❁ قال : «فهزتني لذة ذلك الخطاب ❁ وفهمته إذنا من رسول الملك الوهاب» ❁ فامتثل أمر الله ولقن أفرادا في مدينة رسول الله ﷺ ❁ منهم الأخ الجليل الصالح الفضيل الشيخ عمر بالي والسيد أحمد الرفاعي والسيد أحمد

السمنهودي والسيد عبد الله بافقيه والشيخ إبراهيم برّادة ❊

وأقام مقامه الشيخ عمر بالي المذكور وتوجه راجعا إلى أستاذه مولاي العربي الدرقاوي المذكور ❊ فلما قدم عليه وحضر بين يديه فرح به كثيرا ❊ وقال له : «مرحبا بك ما كنت طامعا بقدومك» ❊ فجلس في حضرته عدة أشهر ❊ ثم توفي الأستاذ العربي رحمه الله فحضر مشهده ❊ وجلس أياما بعده ❊ ثم توجه راجعا إلى بلده طابه بلدة

خير من أمّ المطيّ رحابه ❊ فلما وصل إلى طرابلس الغرب تعلق أفراد أهلها به لما شاهدوا من حسن أوصافه وكمال اتصافه ❊ فأخذوا عنه ❊ ثم كثر السالكون على يديه ❊ واشتهرت الطريقة به ❊ فانتسبت إليه ومن أجل ذلك سميت بالمدنية ❊ وهي فرع من الشاذلية ❊

وقد اتسع على يديه مجالها ❊ ونشر فضلها وجمالها ❊ وبثها في القرى والمدن والأمصار

وفي سائر الأقطار ❋ فعمّ فيضُه القاصي
والداني ❋ وكم اهتدى به من مسرف على
نفسه جاني ❋ وقد ذكرت أحوال بدايته
ونهايته وشيئا من مناقبه في شرحنا «أقرب
الوسايل لإدراك معاني منتخبات الرسايل»
وما أظهره الله على يديه من الفتوحات
والمزايا والكرامات ❋

وكان رضي الله عنه يأمر أصحابه بالاستقامة
❋ ويقول : «هي عندي أعظم الكرامة ❋
ويأمرهم أيضا بحسن المعاملة ويقول :

«معاملتك مع الخلق معاملتك مع الحق» ❊ وكان يأمرهم بحمل الأذى وكفه والخلق الكريم ❊ وكثيرا ما يستشهد لهم بهذا البيت من قصيدة سيدي أبي مدين الغوث رضي الله تعالى عنه :

وبالتفتي على الإخوان جد أبدا

حسا ومعنى وغض الطرف إن عثرا

وكان يأمرهم بالصلوات الخمس جماعة ❊ ويأمر المؤذن أن يقيم الصلاة بأعلى صوته ليحضر إلى الصلاة كل من سمع الإقامة ❊

حتى حريم أهل الزاوية لهن محل معد
للصلاة يحضرن كل وقت من الصلوات
الخمس ❊ ويصلين بالشمع مع الجماعة ❊ ومن
تخلف عنها من غير عذر شرعي فله قانون
يجرى عليه زجرا له ❊ وكان يأمرهم
بالاجتماع حلقة على قراءة الصلاة
المشيشية بمزجها الذي مزجها به بعض
الأكابر ❊ وذلك بعد صلاة الصبح وبعد
صلاة المغرب ❊ وعند تمامها يعملون مجلسا

بذكر لا إله إلا الله ❊ ثم يذكرون الاسم المفرد الله ❊ ولـهم في ذكره اصطلاح ❊

وكان يأمر المنشد بإنشاد كلام القوم في حال ذكر الاسم المفرد ❊ إنشادا موافقا لميزان الـهيئة المعلومة ❊ فترى لذلك الجمع وجدانا عظيما وحالا قويا جسيما ❊ مع مراعات الأدب وحضور القلب ❊

وروحانية الشيخ تتصرف في حال المريدين على قدر حسن التوجه وصدق الطلب ❊

وهم في صحبته على قسمين ❊ قسم متجردون من الأسباب ❊ ملازمون الأعتاب ❊ واقفون بالباب ❊ ليس لهم علاقة دنيوية ❊ ولا حظوظ حسية ولا معنوية ❊ عاكفون على الدروس والأذكار ❊ مشمرون عن ساق الجد الليل والنهار ❊ قلوبهم مع الله ❊ ليس لهم قصد سواه ❊ ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ ❊ مقتفين آثار السلف من السادة الكرام ❊ زهدوا في الدنيا ولذاتها ❊

ورضوا بلذة الصيام والقيام والمناجات
بالليل والناس نيام ❊

والقسم الثاني متسببون ❊ تشملهم شرايع
الطريق ❊ ولا يمنعون مما أبيح لهم من البيع
والشراء والأخذ والعطا والكد على العيال
❊ وإنما التقوى شرط لازم على كل حال
❊ وأن يروّضوا أنفسهم على الطاعات ❊
وعدم المخالفات ❊ ويحفظوا قلوبهم من
الآفات والركون إلى الشهوات ❊ ويزاحموا

إخوانهم على أوصاف الكمال ❊ فيكون لهم الحظ الوافر والمدد المتواتر ❊

وكان رضى الله عنه يقول : «كونوا عبادا لله إخوانا وعلى الخير أعوانا» ❊ وكان يقول : «نضّر الله من نصر الطريق ❊ وأماته على قدم التحقيق» ❊ وكان يأمر أصحابه بالمحبة لله ❊ والمواخاة في الله ❊ واتحاد القلوب على الله ❊ ويأمرهم بالشفقة والحنانة على كافة عباد الله ❊ وأحرى على بعضهم بعضا ❊

وكان يأمرهم بترك فضول النظر ❊ ويقول : «فضول النظر ما ينبغي حتى في المباح ❊ لأنك ترى شيئا يعجبك من المباح فيثير شهوتك ❊ ويكلفك ما لا تطيق ❊ وربما تزدري بنعمتك التي أنعم الله بها عليك» ❊ إلى آخر ما قرره للمريدين وأودعه في قلوب أرباب الإرادة من الصديقين ❊ ويرحم الله القائل :

وإنك إن أرسلت طرفك رايدا

لقلبك يوما أتعبتك المناظر

رأيت الذي لا كله أنت قادر
عليه ولا عن بعضه أنت صابر

والحاصل إن كمال الفرع من كمال الأصل على التحقيق ❊ ويتلوه شاهد منه في هذا الطريق ❊

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّد وَعَلَى آلِهِ وَصَحِبِهِ وَسَلَّمْ تَسلِيما كَثِيرا ❊ سُبحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ❊ وَسَلَامُ على المُرسَلِينَ ❊ وَالحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ❊